التّأسيس الدّينيّ للقتل في أميركا: الصّهيونيّة المسيحيّة أنموذجا

د. محمّد مرتضى[1]

ملخّص

يهدف هذا البحث لتسليط الضّوء على التّنظير الدّينيّ، الّذي قدمته بعض التّيارات الدّينيّة، كمسوّغ نظريّ للقتل. وقد قارب البحث خصوصًا ما أطلق عليه اسم الصّهيونيّة المسيحيّة.

وقد برز هذا الخطاب بقوّة الحروب الّتي شنّتها الإدارة الأمريكيّة في عهد "جورج بوش" الابن، بغطاء دينيّ، تحت مسوّغ نشر الفوضى والحروب الّتي ينبغي أن تشتعل من أجل تسريع النّزول الثّاني للمسيح.

صحيح أنّ هذا التّيار قد بدأ في أوروبا، تحت مسمّى المسيحيّة الصّهيونيّة، لكنّه انتشر لاحقًا بقوّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وقد تمّ توظيف هذه الفكرة سابقًا لترويج إعادة اليهود إلى أرضهم المزعومة.

وبكلّ الأحوال، فقد مثّلت الصّهيونيّة المسيحيّة تيارًا لا يبتعد عن التّيارات العنفيّة الإرهابيّة وإن تلبّست بلباس الحكومات، وشكّلت أيديولوجيّة إرهابيّة بغطاء دينيّ.

الكلمات المفتاحية: الصّهيونيّة المسيحيّة، أميركا، القتل، عودة المسيح، إسرائيل، الإصلاح الدّينيّ، هرتزل، النبوءات التوراتية، المحافظون الجدد.

1 - مدير مركز براثا للدّراسات والبحوث في بيروت، ورئيس تحرير مجلّة أمم.

مقدّمة

يتناول البحث فكرة اســتخدام أميركا الدِّين كمســوغٍ للقتل والحروب، وكيف تمّ تفعيل هذا الاستخدام في حركة الصّهيونيّة المسيحيّة، الّتي بدأت في أوروبا وانتشرت في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة بشكلٍ خاصّ. ويضيء على بداية نشــوء حركة المسيحيّة الصّهيونيّة متزامنة مع حركة الإصلاح الدِّينيّ اللّوثرية والكالفينيّة وتنويعاتها، حيث اســتغلّت التّعاليم الإصلاحيّة في ترجمة الكتــاب المقــدَّس لِلغات الوطنيّــة وعملت على ضمّ التّــوراة -العهد القديــم- للإنجيل وبثّت النّبوءات التّوراتيّة.

ذلك أنّه في الوقت الّذي كانت فيه المسيحيّة تروّج لفكرة إعادة اليهود لأرض "إسرائيل" تسريعاً في قدوم المســيح المنتظر من جهةٍ عقائديّة، وحلاً لمسألة اليهود الّتي كانت تؤرّق المجتمعات الأوروبيّة من جهةٍ سياسيّة؛ استطاعت الصّهيونيّة قلب الأدوار، واستغلال المشاعر الدّينيّة لدى الغالبيّة المسيحيّة من البروتستانت، وصبّها في قنوات دعم الصّهيونيّة اليهوديّة، أيْ تغليب سِمة الصّهيونيّة على المســيحيّة، في سبيل دعم إقامة الكيان الصّهيونيّ على أرض فلسطين المحتلّة، بعــد أن تمّ اختيارهــا بوصفها أرض الميعاد المزعومة، وما رافق ذلــك من حروب وقتل، وتبرير لتلك الحروب وذلك القتل بوصفه عونًا للإله، من أجل تحقيق عهده القديم. فتناول البحث نشأة هذه الحركة في أوروبا، وأضاء على حضورها الطّاغي في الولايات الأمريكيَّة المتّحدة، وتأثيرها على سياسات البيت الأبيض.

أوّلاً: الدِّين والقتل

تاريخيًّا، استخدم الغرب الدِّين في العديد من الأحداث الكبرى، كذريعةٍ لتبرير الحروب، أو العنف بشكلٍ عامّ. فقد تمّ تفسير بعض النّصوص الدّينيّة، بطرق تدعم استخدام القوّة أو العدوان

في سياقات سياسيّة أو عسكرية. وقد تمّ تسييس الدِّين، واستخدامه لتعزيز أجندات سياسيّة، أو لتبرير العداء أو القتل، وهناك الكثير من الحروب الّتي خاضها الغرب بدوافع أو ذرائع دينيّة؛ لكنْ هناك ما هو أعمق وأشدّ تأثيراً في تسويغ الدِّين كأداة سياسيّة، وهي ظاهرة الصّهيونيّة المسيحيَّة. يخبرنا التّاريخ بظهور فئة دينيّة استغلّت الدِّين شرَّ استغلال لتحقيق مآرب سياسيّة اجتماعيّة اقتصاديّة تتعلّق بالهيمنة ولم تتوانَ في فعلها الّذي تمّ والمستمرّ إلى الآن عن استخدام كلّ أشكال التّجييش لتحقيق أهدافها. وهي المسيحيّة الصّهيونيّة الّتي أصبحت لاحقًا الصّهيونيّة المسيحيَّة. فقد اتخذت من الدِّين وسيلةً لِلَيّ عنق التّاريخ وتسويغ القيام بأفظع المجازر، ولازالت تفعل هذا، فما الّذي يميّزها عن غيرها ضمن هذا السّياق؟

نفترض في هذه الدّراسة، وجود لحظتين حكمتا المسيحيّة بعلاقتها مع الصهيونية:

1 - اللّحظة الأولى المسيحيّة الصّهيونية: وهي البداية الّتي كانت تتّجه بها المسيحيّة صوب الصّهيونيّة لاعتقادٍ دينيٍّ يقول، بأنّ لَمّ شتات اليهود هو تسريع للنّزول الثّاني للمسيح والمنتظر، حسب النّبوءات المسيحيَّة.

2 - اللّحظة الثّانية الصّهيونيّة المسيحيَّة: وهي الصّهيونيّة الّتي التقطت اللّحظة الأولى، وبدأت تعزِّز هذا التوجّه، وتعمل على نشر المسيحيّة الصّهيونيّة الدّاعم الأكبر للصّهيونيّة العالميّة، بالتّأكيد على نبوءات العهد القديم.

ثانيًا: المسيحيّة الصّهيونيّة

كان لليهود المهاجرين من إسبانيا إلى باقي الدّول الأوروبيّة -وبخاصّة فرنسا وهولندا- أثرهم البالغ في تسرّب الأفكار اليهوديّة إلى النّصرانيّة وبدقّة، كالاعتقاد بأنَّ اليهود شعب الله المختار، وأنّهم الأمّة المفضّلَة، كذلك أحقيّتهم في ميراث الأرض المقدّسة. وقد راجت هذه الأفكار مع صعود الحركة البروتستانتيّة المسيحيّة في أوروبا بقيادة "مارتن لوثر" و"كالفن"، فقد ألّف "مارتن لوثر" كتابه المسمّى "عيسى وُلِد يهوديًّا"[1]، وكأنّه يبعث لمسيحيّ العالم الغربيّ برسالة مفادها أنكم جميعًا مدينون لهذا اليهوديّ الّذي جاءكم بالمسيحيَّة، وأخذ يُفسر برؤى منقوصة كلّ ما يتّصل بتاريخ الشّعب الإسرائيليّ، ويعزّز طرح حتميّة العودة إلى أرض اسرائيل وإقامة وطنٍ دوليّ لليهود هناك.

1 - Luther, M. (1523) That Jesus Christ was Born a Jew.

غير أنّه، وبعد نحو عشرين عامًا من التّعاطي مع يهود أوروبا، اكتشف «لوثر»، أنّهم قد سخّروه لصالح تحقيق أغراضهم المختلفة، وأنهم لم يكونوا داعمين لانشقاقه غير المحمود، وإنّما اتخذوا منه جسرًا وقنطرةً للعبور إلى حلمهم في "أرض الميعاد". وحين صدر كتاب «لوثر» الثّاني وعنوانه " اليهود وأكاذيبهم"[1] والّذي تراجع فيه عن طروحات الكتاب الأوّل، وبينّ للعالم الأوروبيّ أنّ هؤلاء شعب مليء بالمراوغة، ولا يلتزم الحقّ، وإنّما يسعى إلى مصالح غير شرعيةٍ. لم ينلْ هذا الكتاب الرّواج الّذي طال كتابه الأوّل، لدرجة أنّه يكاد لا يذكر في الأدبيات البروتستانتيّة الدّارجة في أوروبا؛ وهنا يُلحظ نشـوء فرق متنوعة في المذهب البروتسـتانتيّ، وذلك نتيجة الدّعوة إلى الحريّة، والقول أنّ لكلّ شـخص الحقّ في التّفسير وإبداء الرّأي، وأنّ هذا الأمر ليس حِكْراً على رجال الكنيسـة. وكان البيوريتانيّون الذين ظهروا في انكلـترا (1564)، على يد الدّاعية (روبرت براون)، قد شـجّعوا الملك «هنري الثّامن»، الّذي صرّح بموقفه العدائيّ للكنيسـة البابويّة. وقد عملوا على إنشاء الكنيسة الإنجليكانيّة ليقوموا فيما بعد بعمليّة إصلاح بيوريتانيّة، وبشكلٍ خاصّ بعـد أن أعلن «أوليفر كروميل» (1649-1659) قيام جمهوريّة الكومنولث البيوريتانيّة مع الثّورة الإنجليزية، بمساعدة الجناح المتطرّف من البيوريتانيّين. ودعا حكومته إلى حمل شرف إعادة بني إسرائيل إلى أرض أجدادهم، حسب زعمه، لتصبح اليهوديّة جزءًا من الثّقافة الإنكليزيّة بعد تاريخٍ من الاضطهاد لليهود[2]. هكذا بدأت عملية التّزوير التّاريخيّ بشكلٍ رسميّ، فإسرائيل الّتي بقيت لزمنٍ طويل -منذ القديس أوغسطين- تعني الكنيسة، أخذت تعني شيئًا آخر وهو الوطن القوميّ لليهود، واليهود قتلة المسيح ومنكرو النّبوّة، أصبحوا "شعب الله المختار.!" كانت هزيمة القوات الكاثوليكيّة، وقيام جمهوريّة هولندا على أساس المبادئ البروتستانتيّة الكالفينية عام (1609) م، بمثابة انطلاقة للحركة المسيحيّة الصّهيونيّة في أوروبا، ممّا ساعد على ظهور جمعيّات وكنائس وأحزاب سياسيّة، عملت جميعًا على تثبيت فكرة الوطن اليهودي.

وهكذا يمكن القول أنّ اليهود التقطوا لحظةً عقائديّةً مسيحيّة، تسعى إلى تسريع قدوم المسيح بإعادة اليهود إلى وطنٍ مفترض من جهة، ولحظةً سياسيّة من جهةٍ أخرى. كانت توجد بالمسألة اليهوديّة مشـكلةً وطنيّةً، ذلك أنّ «لوثر» الّذي ظنَّ أنّه يمكن نصرنة اليهود، وجد في كتابه اليهود

1 - Luther, M. (1971) On the Jews and Their Lies.

2 - سباتين، ر. (2009)، ص69.

وأكاذيبهم أنّهم هم من أرادوا تهويده، ووجدهم خطرًا على الأمّة الألمانية يجب اجتثاثه، لكنْ وكما أشرنا، لم يتمّ التّركيز على الشقّ الأخير، وإنّما عملت اليهوديّة على نشر البروتستانتيّة، وجعلت منها حاملاً لمشروعها القوميّ الّذي بدأت معالمه الأولى بالظّهور مع التّحوّل الّذي أصاب المسيحيّة الصّهيونيّة إلى الصّهيونيّة المسيحيَّة، حيث لم يعد المسيحيون هم أصحاب مصلحة وحسب، في لمّ شتات اليهود لاستعجال قدوم المسيح، بل بدأ اليهود في تكريس هذه الفكرة عقائديًّا، وتاريخيًّا، وآثاريًّا، وسياسيًّا، وبكلّ وسيلة أُتيحت لهم.

سنورد مقتطفًا من بعض الخِطابات اليهوديّة، الّتي أُلقيتْ لاحقًا في مؤتمر مَجمَع «بناي بريث» في باريس نقلاً عن مجلة «كاثوليك جازيت»:

«والآن نحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أنّ معظمهم وهم يخلصون الإيمان لدينهم، لا يعون مدى إخلاصهم لنا، إنّنا جِدُّ ممتنّون لِلْعون القيّم، الّذي قدّموه لنا في حربنا ضدّ معاقل المدنيّة المسيحيَّة، استعدادًا لبلوغ مواقع السَّيطرة على العالم.

نحن آباء جميع الثّورات الّتي قامت في العالم، حتّى تلك الّتي انقلبت علينا أحيانًا، ونحن أيضًا سادة الحرب والسَّلام، بدون منازع؛ ونستطيع التّصريح اليوم بأنّنا نحن الّذين خَلَقْنا حركة الإصلاح الدِّينيّ للمسيحيّة. فـ«كالفين» كان واحدًا من أولادنا ،يهوديّ الأصل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع المسؤولين اليهود ودعم المال اليهوديّ، فنفّذ مخطط الإصلاح الدِّينيّ. كما أذعن «مارتن لوثر» لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضًا، نجح برنامجه ضدّ الكنيسة الكاثوليكيّة، بإرادة المسؤولين اليهود.

دعونا نوضح لكم، كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التّسرب إلى دخائلها الخصوصيّة، وأغوينا البعض من رعيتها ليكونوا روّادًا في حركتنا، ويعملون من أجلنا. أَمَرْنا عددًا من أبنائنا بالدّخول في جسم الكاثوليكيّة، مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدّقيق والنّشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبها، عن طريق اختلاق فضائح داخليّة. ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود، الّذي أوصانا بحكمة بالغة: «دعوا بعض أبنائكم يكونوا كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدموا كنائسهم»[1]. وبعد ذلك نرى صعود عقيدة الاستعادة أو العقيدة الاسترجاعيّة، وهي الفكرة الدّينيّة الّتي تذهب إلى أنّ اليهود هم شعب الله القديم،

---

1 - السّماك م. (1993)، ص12-11.

باعتبار أنّ المســيحيّين هم شـعب الله المختار الجديد، وحتّى يبدأ العصر الألفي الموعود، لا بدّ أنْ يستعيد اليهود أرضهم تمهيدًا لعودة المسيح؛ وهكذا أصبح تبادل الدَّور في توظيف الدِّين بين المســيحيّة الصّهيونيّة، ومن ثمّة الصّهيونيّة المسيحيّة واضح المعالم، على طريق لَمِّ شتات اليهود، واجتثاث شعب فلسطين، بعد أن وقع الخيار عليها بوصفها الأرض الموعودة.

ثالثًا: الصّهيونيّة المسيحيَّة

نقصد بالصّهيونيّة المسيحيّة، تلك الحركة الّتي أتت استكمالاً لعمل المسيحيّة الصّهيونيّة، من حيث تأكيدها على لَمِّ شـتات اليهود، لكنها في حين اتّفقت مع المســيحيّة الصّهيونيّة، من حيث الاعتقاد بضرورة عودة اليهود إلى "الأرض المقدسـة"، وأنّ جمع شتات اليهود يتوافق مع تنبّوءات الكتاب المقدّس، وحتمية تحقق الوعد الإلهيّ للشّـعب اليهوديّ، إلّا أنَّها تختلف عنها من حيث التوجُّه النّهائي، وبدقّة ضرورةَ جمع اليهود في دولة يهوديّة، أيْ أنّ الصّهيونيّة السياسيّة، هي الحركة الّتي يطغى فيها الجانب السّياسيّ على الجانب الاعتقاديّ لدى المسيحيّين، لتتمّ ترجمة هذا الأمر بالدّعم السّياسيّ المباشر للحركة الصّهيونيّة، المتمثلة بالكيان المزعوم لدولة "إسرائيل".

تمّ اسـتخدام مصطلح الصّهيونيّة لأوّل مرّة عام 1890؛ وهي حسـب تعريف قاموس "ميريام ويبستر": "حركة دوليّة في الأصل لإنشاء مجتمع قوميّ أو دينيّ يهوديّ في فلسطين ولاحقًا لدعم إسرائيل الحديثة"[1]. أمّا الصّهيونيّة المسيحيَّة، فهي حركة سياسيّة تهدف إلى إقامة وحماية دولة إسرائيل، كوطن قوميّ للشّعب اليهوديّ.

استُخدِم مصطلح "الصّهيونيّ المسيحيّ" عام 1896، عندما أشار الزّعيم الصّهيونيّ اليهوديّ "تيودور هرتزل"إلى "ويليام هيشـلر"، القسيس الأنجليكانيّ في السّـفارة البريطانيّة في "فيينّا"، باعتباره "صهيونيًّا مسـيحيًّا". وفي العام التّالي اسـتخدم "هرتزل" هـذا المصطلح "الصّهيونيّ المسـيحيّ" لوصف "جان هنري دونان"، مصرفيّ سـويسريّ ومؤسّـس الصّليـب الأحمر[2]، ومراقب في المؤتمر الصّهيونيّ الأوّل.

إنّ مصطلح «الصّهيونيّ المسـيحيّ» جديد نسـبيًّا. ولم يتمَّ استخدامه على نطاقٍ واسعٍ حتَّى

1 - https://www.merriam-webster.com/dictionary/Zionism

2 - Spector, S. (2009), p2.

التَّســعينيّات. يعود تاريخ هذه العبارة إلى عــام 1903 على الأقلّ، عندما بدأت تظهر في صحيفة «نيويورك تايمز»، لأوّل مرّة في الرّسائل الموجّهة إلى المحرّر وفي النّعوات، ثمّ بعد عشرين عامًا، في القصص الإخباريّة. في عام 1919 استخدمها «ناحوم سوكولوف» في كتابه «تاريخ الصّهيونيّة 1600-1918»، حيث استشهد بهذا المصطلح في العقود الّتي تلت ذلك، وكانوا يرفضونه أحيانًا، باعتباره استعارة غير مفيدة. وفي عام 1967 استخدمها «كلود دوفيرنوي» بتقدير في كتابه «الأمير». وكان قد قدّم فيه قائمة مرجعيّة لمنشورات «المسيحيّة الصّهيونيّة». في عام 1975، لاحظ «جي دوجلاس يونج»، وهو إنجيلي مؤيّد لإسرائيل، في صحيفة «جيروزاليم بوست» أنّ بعض إخوانه في الدِّينن وصفوه بأنّه صهيونيّ مسـيحيّ، وشـكرهم على هذا الإطراء. وفي عام 1980، نشرت صحيفة «التّايمز» تقريرًا عن تجمّعٍ كبير للمسيحيّين الصّهيونيّين في القُدس. وبحلول عام 2003 استخدم المصطلح للإشارة إلى كتلة تصويت هائلة من الجمهوريّين المحافظين، الّذين يدعمون إسرائيل على أســاس تفسيرات الكتاب المقدّس[1]. تميل تعريفات هذا المصطلح إلى أن تكون ضيّقة جدًّا أو واسعة جدًّا. عرّف الوزير الاسكتلنديّ «والتر ريجانز»، في كتابه الصادر عام 1988 «إسرائيل والصّهيونيّة»، المسيحيّ الصّهيونيّ بشــكل شامل للغاية، كأيّ مسيحيّ يدعم الهدف الصهيونيّ المتمثّل في بناء دولة إسرائيل وجيشها وحكومتها ومؤسّسات أخرى. وأضاف أنّ هذا المصطلح يمكن أن ينطبق بشـكل أكثر عموميّة، على أيّ مسيحيّ يدعم إسرائيل لأيّ سبب من الأسباب. التّعريف عامّ لدرجة أنّه ينطبق ،على سبيل المثالن على البروتستانت اللّيبراليّين الّذين يتعاطفون مع الفلسـطينيين، ولكنّهم يدعمون وجود الدّولة اليهوديّة، بسبب إحساسهم بالذّنب بشــأن المَحْرَقَة[2]. وبالرّغم من السّـجال الواضح حول بعض التّعريفات ألّتي تطال الصّهيونيّة المســيحيّة، إلّا أنّ هذا إشــارة واضحة إلى تطوّر الخطوات السياســيّة الّتــي اتّخذتها الصّهيونيّة المسيحيّة، اتّجاه أن تنقل العمل من الحقل العقائديّ المسيحيّ، إلى الحقل العقائديّ اليهوديّ، ومــن ثمّة إلى الحقل السّـياسيّ، لتصبح مناصرة اليهود في حربهم على الفلسـطينيين، ليســت حرب عقائد وحسب، وإنّما انتقلت لاحقًا لتصبح حربًا من أجل ترسيخ دولة علمانيّة، في محيط "إسلامويّ إرهابيّ يهدّد العالم" وفق زعمهم.

1 - Spector, S. (2009), p2.

2 - Lewis, A. (2021), p4.

يقول مؤلّف تاريخ مقتضب للصّهيونية المسيحيّة «دونالد لويس»:

«إنَّ استخدامي لمصطلح الحركة في الحديث عن الصّهيونيّة المسيحيّة متعمَّد، لأنه يجسّد إحساسًا بزخمها، حيث كانت الصّهيونيّة المسيحيّة دائمًا مثل الأمازون، تبدأ صغيرة من منابعها في الإصلاح الدِّينيّ، ولكنّها تتحرّك بسرعة أكبر في أوقات وأماكن مختلفة، حتّى المتتالية من خلال الأحداث المحوريّة، مثل إعلان بلفور، واستقلال إسرائيل، وحرب الأيّام السّتة عام 1967، مع تقدّمها. ولكنّها كانت دائمًا «في حالة حركة»، تتكيّف مع الظّروف المتغيرّة والأحداث الجديدة، وتتحوّل لتتكيّف مع مختلف اللاّهوتات والمفاهيم النبوية»[1].

رابعاً: المسيحيّة الصّهيونيّة في الولايات الأمريكيَّة المتّحدة.

أشار الباحثون إلى ما يمكن تسميته أوّل علاقة، بين المسيحيّة الصّهيونيّة والولايات الأمريكيَّة المتّحدة في العصر الحديث، يمكن توثيقها في هذا الصّدد إلى رحلة المستكشف الإيطالي «كريستوفر كولمبس»، الّذي يُشار إليه بأنّه أوّل من اكتشف الأرض البعيدة (أمريكا) عام 1492، حيث كانت قصّته في البحث، إعلانه بأنّه كان يبحث عن الممالك، الّتي سينشر فيها المسيحيّة، ويستعيد الأرض المقدّسة، وخاصّة القدس، تمهيدًا لنزول مملكة الله على جبل صهيون، وهذا ما أكّده مؤرخو كتاب «الأمّة الأمريكيَّة»، بأنّ هذا أوّل ارتباط تصوّريّ من «كولمبس»، حيث تصوّر نفسه بأنّه رسول الوحيّ المستقبليّ، الّذي يبني لاستعادة القدس وهداية اليهود[2].

وهناك من يقول إنّ نشأة أمريكا، كانت نتيجة اندفاعة دينيّة، فقد كان معظم المهاجرين الجدد الّذين سكنوا أمريكا الشّمالية الخاضعة للاستعمار البريطانيّ، فئات منوعةً من كلِّ الطّوائف البروتستانتيّة، وهم الّذين هاجروا في القرنين السّابع عشر والثّامن عشر بحثًا عن حياة أفضل، منهم رجال كنيسة، ومنشقّون عنها، ومستقلّون، وكالفينيّون، ولوثريّون.. ومع أنّ هؤلاءٍ البروتستانت، يختلفون عن بعضهم البعض في مسائل مذهبيّةٍ محدّدة، إلاّ أنّهم يشتركون في قاسمٍ مشترك من المعتقدات، مثل كفاية الكتاب المقدّس للخلاص، والكهانة لجميع المؤمنين بالمسيحيَّة، والخلاص عن طريق رحمة الإله المتحصّل عليها بالإيمان وحده. ويشتركون كذلك في شيء

---

1 - Lewis, A. (2021), p4.

2 - السّماك، م. (2009) ص49.

آخر وهو الالتزام بكراهية الكنيسة الكاثوليكيّة. هم يشنعون على الكاثوليك بوصفهم بعبارت من قبيل بابويّين ورومانيّين، ويزدرون الكنيسة الكاثوليكيّة، ويطلقون عليها وصف بغي بابل[1].

لقد نظر هؤلاء المهاجرون إلى أنفسهم بوصفهم شعب الله المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنّه اسرائيل الجديدة. حملوا معهم تراثهم الدِّينيّ المستمد من العهد القديم، الّذي بدأ بتشكيل الوعي الدِّينيّ الأمريكي، فقد اعتبروا أمريكا أورشليم الجديدة أو كنعان الجديدة، وشبّهوا أنفسهم بالعبرانيّين الفارّين من ظلم فرعون، الملك جيمس الأوّل، الهاربين من مصر (أوروبا) بحثاً عن أرض الميعاد. لقد كان تأصيل هذا الإعتقاد الأساس لتبرير أولى حروب الشّعب الجديد على الأرض الجديدة، وقتل السّكان الأصليّين. بديهي أنّ الربّ يدعو المستوطنين إلى الحرب، فالهنود اعتمدوا على عددهم وأسلحتهم، كما فعلت قبائل النّقب القديمة، العمالقة والفلسطينيّون، متحالفين مع غيرهم ضدّ شعب إسرائيل[2]. وبذلك ابتدأ الأميركيون وجودهم كأمّة، بعمليّة إبادة جماعيّة لشعب بأكمله -الهنود الحمر السّكان الأصليّين لأمريكا- قيل إنّها إبادةٌ من أجل المسيح، واتكأوا على الأفكار الصّهيونيّة، للتّخفف من العبء الأخلاقيّ النّاتج عن الإبادات الجماعية الّتي قاموا بها.

لقد كانت أمريكا بلادًا مؤهّلة لانتشار الأفكار الصّهيونيّة، فسكانها الأوائل من البروتستانت المناصرين لحقّ اليهود، ودستور الأمّة يبيح الحرّيّة الدّينيّة، الّتي وجد فيها المسيحيون الصّهاينة، التّربة الخصبة لزرع أفكارهم الّتي انتشرت عالميًّا، تزخر الدّراسات عن الحركة الصّهيونيّة، بمواقف الرّؤساء الأمريكيّين الدّاعمة للصهاينة دون استثناء.

لكن لحظة تكريس عقائديّة، جاءت على يدي القسّ «جونِ داربي»، الّذي اتّبع منهج التّدبيريّة في تبشيره. ومذهب التّدبيريّة يعني أنّ كلّ شيء في هذا الكون مبرمج، وعلى الإنسان تحقيق البرنامج الإلهيّ عبر التّفسير الحرفيّ لنبوءات العهد القديم. ليأتي بعده الأمريكيّ «سيروس سكوفيلد» 1843-1921، ويؤصّل عملية تهويد المسيحيّة بنشر كتابه «واجب تجزئة كلمة الحقّ1888»، أصّل فيه المبادئ اللّاهوتية للأصوليّة الإنجيليّة التّدبيريّة، وربط تفسيره للإنجيل بإسرائيل، وبمبادئ أربعة تخصّها: عودة اليهود إلى فلسطين، السَّيطرة الكاملة على القدس غير

---

1 - لامبرت، ف. (2014)، ص ص 16-15.

2 - الطّويل، ي. (2014)، ص54.

مقسمة، إعادة بناء الهيكل، خوض حرب هرمجدون[1]. وهنا نرى جهوزيّة الصّهيونيّة السّياسيّة الدّائمة لالتقاط أيّ نشاط يرفد أهدافها، وَلَيّ عنقه ليصبح أساسًا لتوجّهات جديدة. ويسير إلى غلبة الصّهيونيّة المسيحيّة على المسيحيّة الصهيونية.

إذن انتقلت الصّهيونيّة المسيحيّة إلى أمريكا، من خلال الهجرات المبكرة لأنصارها، نتيجة للاضطهاد الكاثوليكيّ، وقد استطاعت تأسيس عدّة كنائس، اهتمَّت الكنيسة البروتستانتيّة بنشر الإنجيل في أوروبا وأمريكا منذ القرن الثّامن عشر والتّاسع عشر. ثمّ تطوّر عملها في شكلِ منظَّمات وإرساليات، ووضعت اللوائح والقوانين المنظّمة لها وكذلك الميزانيّات اللّازمة. ومن ثُمّ انتقل العمل التّبشيريّ البروتستانتيّ، إلى القارّتين الأفريقيّة والآسيويّة، وبخاصّة الّتي كانت تستعمرها الدّول الغربيّة ذات العقيدة البروتستانتيّة. ومن أوائل الّذين قادوا حركة التّبشير «جوف وسلي»، «ووليام ولبرفورس»، «ووليام كيري» أبو المبشّرين في العصر الحديث. لعبت تلك الكنائس دورًا هامًّا في تمكين اليهود من احتلال فلسطين، واستمرار دعم الحكومات الأمريكيَّة لهم -إلّا ما نَدَر- من خلال العديد من اللّجان والمنظّمات والأحزاب، الّتي أُنشئت من أجل ذلك، ومن أبرزها: الفيدرالية الأمريكيَّة المؤيّدة لفلسطين الّتي أسّسها القسّ «تشارلز راسل» عام1930 م، واللّجنة الفلسطينيّة الأمريكيَّة الّتي أسَّسها في عام 1932 م, السّناتور «روبرت واضر»، وضمَّت 68 عضوًا من مجلس الشّيوخ، و200 عضوًا من مجلس النّواب، وعددًا من رجال الدِّين الإنجيليين، ورفعت هذه المنظمات شعارات «الأرض الموعودة»، و«الشّعب المختار».

وفي العصر الحديث تعتبر الطّائفة التّدبيريّة الّتي يبلغ عدد أتباعها 40 مليون نسمة تقريبًا والمعروفة باسم الأنجلو ساكسون، البروتستانت البيض من أكثر الطّوائف مغالاة في تأييد الصّهيونيّة، وفي التّأثير على السّياسة الأمريكيَّة في العصر الحاضر.

ومن أشهر رجالها اللّاهوتيين: «بيل جراهام»، و«جيري فولويل»، «جيمي سويجارت». ومن أبرز رجالها السّياسيّين الرّئيس الأمريكيّ السّابق «رونالد ريجان».

خامساً: الصّهيونيّة المسيحيّة الأمريكيَّة والمحافظون الجدد.

تزامن صعود الصّهيونيّة المسيحيّة في أمريكا، مع ظهور تيّار المحافظين الجدد، الذي نظّر

1 - الطّويل، ي. (2014) ص126.

له الفيلسوف «ليو شتراوس»، وقد أوضح «شتراوس» في نتاجه السّياسيّ، ضرورة حضور الدِّين كأداة فعّالة للوصول إلى النّظام السّياسيّ الأفضل، إذ إنّه يشكّل صُلب عقائد البشر، وأداة ناجعة للتّأثير والتّحريك، ولئن كان «شتراوس» معنيًّا بالصّهيونيّة، بُحكم أنّه يهوديّ من جهة، وبحكم كونه فيلسوفًا ينظر للفاعليّة الدّينيّة في سوس البشر من جهة ثانية، فقد قام بنفسه بمَهَمَّة إعادة اليهوديّة المتمثّلة بالصّهيونيّة، كواجهة سياسيّة إلى عالم السّياسة، ذلك أنّه رأى إمكانيّة لليهود في اختراق الصّراع الحضاريّ القائم، نتيجة للضّعف الّذي أَلَمَّ بالحضارة الإسلاميَّة بسبب تشتتها الدَّاخلي، والضّعف الّذي ألمّ بالحضارة المسيحيّة، كنتيجة لمفرزات الحداثة، وتراجع الحضور الدِّينيّ في المجتمعات الغربيّة وفق زعمه. وبذلك ركّز في أعماله على الصّهيونيّة، كحركة سياسيّة يُمكن أن يكون لها الدَّور الفاعل في حركة التّاريخ؛ و«شتراوس» وبينما هو يفعل ذلك، كان يظنّ بنفسه القدرة على التقاط اللّحظة السياسيّة الأكثر ملاءمة لثأر الرّوح اليهوديّة، من الاضطهاد التّاريخي الّذي أصابها. إنّ التّركيز على الصّهيونيّة محمولة على أسس القوّة، الّتي أرساها مذهب «شتراوس» أغرت الكثيرين من السّياسيّين الأمريكيّين، وتبنّتها حركة المحافظين الجدد، فإن كان أغلب السّاسة غير مؤمنين إلّا أنّهم رأوا كما -شتراوس- في الدِّين الوسيلة الأنجع لبسط السّلطة. وبذلك فقد كانت تجلّيات الرّوح الشّتراوسيّة في هذا الميدان، نوع من التَّمازج الغريب تاريخيًّا بين الأديان، وشكّلت نموذجًا جديدًا للعلاقة بين الدِّين والسّياسة.

يرى العديد من المتخصصين في السّياسة الأمريكيَّة، أنّ أهمّ التّطوّرات السّياسيّة داخل المجتمع الأمريكي، خلال العقود القليلة الماضية، هو ذلك التّحالف ما بين المحافظين الجدد واليمين المسيحيّ المتطرّف، على الرغم من أنه كثر الحديث في الآونة الأخيرة في الإعلام والصّحف عن هذا التّحالف، حيث وصفه البعض، بأنّه تحالف غير منطقيّ وغير حقيقيّ؛ لأنّ المحافظين الجدد هم في الغالب علمانيّون يهود، وأنّ اليمين المسيحيّ المتطرّف هم جماعة متديّنة، لها عقيدة معيّنة، وأهدافهم تخصّهم، وتختلف من النّاحيّة الأيديولوجيّة عن أفكار المحافظين الجدد[1]، ومع بداية السبعينيّات، بدأت الكنائس البروتستانتيّة تتحرّك للتّعبئة الشّعبية، من أجل كسب أصوات ومؤيّدين للكنيسة، وقدِ انتهز المحافظون الجدد هذا الواقع، وذلك لبناء حلف من المتديّنين المتعصبين، مع حركات دينيّة أصوليّة يهوديّة مسيحيّة، في كلٍّ من أمريكا

1 - Geyer, A. (1997) p.41.

وإسرائيل، لتنفيذ رغباتهم، وأهدافهم، وسياساتهم في الدّاخل وفي الخارج.

وقدِ اعتقد المحافظون الجدد، أنّ ضالّتهم تلك متوفّرة في اليمين الأصوليّ المسيحيّ المتطرف، الّذي سيزودهم بالقوّة الرّوحانيّة أو الأخلاقيّة، من خلال قاعدة شعبية واسعة تخدم أهدافهم السّياسيّة، وبذلك يصبح اليمين المسيحيّ المتطرّف هو قلب الجسد السّياسيّ للمحافظين الجدد. ومن الممكن اعتبار عام 1876، بداية الدّعم الرّئيس والقويّ من قبل المحافظين الجدد، والأصولية المسيحيّة داخل الولايات المتّحدة الأمريكيّة، لـ"إسرائيل"، وبداية ظهور ما يسمّى بالحركة الصّهيونيّة المسيحيّة، كعلامة فاصلة في تزايد قوّة هذه الحركات وتأثيرها وعددها وإمكانياتها، فقد سجّلت بداية ذلك العام حماسًا سياسيًّا، وتنظيميًّا شعبيًّا داعمًا للصّهيونيّة السّياسيّة، وأطلقت صحف كثيرة على هذا العام، تسميته عام الإنجليّين الأصوليّين. وسجّل ذلك العام بداية ولادة العديد من التّنظيمات، والمؤسّسات، والبرامج السّياسيّة والشّعبيّة، المرتبطة بشكل أو بآخر بالكنائس الإنجيليّة والأصوليّة داخل الولايات المتّحدة الأمريكيّة[1].

ومن أهمّ الأسماء البارزة في معسكر المحافظين الجدد، والّذين دعموا هذا الحلف، «إرفنغ كريستول»، و«ثوردهينز» فقد حثّ على مواصلة العلاقات الوثيقة مع الأصوليّين خاصّة في السّياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأمريكيّة، وبالذّات مع "إسرائيل"، حيث إن الطّرفين يتفقان تماماً على دعم ومساندة الدّولة اليهوديّة، وضمان أمن "إسرائيل".

ويجب التّأكيد مرةً أخرى، أنّ التّحالف الّذي نتحدّث عنه ليس تحالفًا أيدلوجيًّا أو حقيقيًّا، بقدر ما هو تحالف قائم على أساس مصالح متبادلة لخدمة مؤسّسات أو أفراد متنفّذين داخل المجتمع الأمريكي، هدفه الرّئيسيّ نفعيّ ماديّ. لعبت الصّهيونيّة العالميّة دورًا رئيسًا في إنشائه تحقيقًا لخدمة مصالحها الدّولية خاصّة على أرض فلسطين، إذ أنّ هناك توافقًا في كلّ شيء بين الطّرفين تجاه قضية الصّراع العربيّ - "الإسرائيليّ". لقد عملت الصّهيونيّة المسيحيّة على دعم السّياسة الدّاعمة لـ"إسرائيل"، عبر بثّ النّبوءات التّوارتيّة الّتي تقوم على فكرة عودة المسيح؛ فقد كان حماس الأصوليّين المسيحيّين بلا حدود، لقيام دولة إسرائيل عام 1948؛ باعتبار أنّ هذا الحدث يعتبر دليلاً قاطعًا على أنّ نبوءات التّوراة أصبحت حقيقة واقعة، فمعظم أولئك يؤمنون بأنّ التّوراة تنبّأت بنهاية العالم، وإحلال مملكة جديدة بعد العودة الثّانية للمسيح، لهذا فإنّه من

1 - الحسن، ي. (1990)، ص82.

الضّروري تجميع اليهود في الأرض المقدّسة قبل عودة المسيح، وبمعنى آخر، فإنّ نهاية العالم لا تتمّ إلّا بعد تأسيس إسرائيل جديدة، وهكذا صاروا بانتظار تتابع التّطوّرات التّالية لهذا التّأسيس حسب ما سمّوه «الخطّة الإلهية»[1].

وحول هذا الأمر تقول الكاتبة الأمريكيَّة «جريس هالسل»، في كتابها بعنوان «النّبوءة السّياسيّة»: «لقد تحوّلت النّبوءة التّوراتيّة في أمريكا، إلى مصدر يستمدّ منه عشرات الملايين من النّاس نسق معتقداتهم، ومن بينهم أناس يرشّحون أنفسهم لانتخابات الرّئاسة الأمريكيَّة، وكلّهم يعتقدون قرب نهاية العالم، ووقوع معركة هرمجدون، ولهذا فهم يشجّعون على التّسلح النّوويّ ويستعجلون وقوع هذه المعركة على أساس أنّ ذلك سيقرب مجيء المسيح»[2].

في سنة 1984 أجرت مؤسّسة «يانكلوفينش» استفتاءً، أظهرت نتائجه أن 39% من الشّعب الأمريكيّ، أيْ حوالي 85 مليون نسمة، يعتقدون أنّ حديث الإنجيل حول تدمير الأرض بالنّار، سيتمّ قبل قيام السّاعة بحرب نوويّة فاصلة. ويؤمن أصحاب هذا الاعتقاد بالنّصّ العبريّ الوارد في سِفْر الرّؤيا/16، بأنّ المعركة المسمّاة «هرمجدون»، ستقع في الوادي الفسيح المحيط بجبل مجدون في أرض فلسطين، وأنّ المسيح سوف ينزل من السّماء، ويقود جيوشهم، ويحقّقون النّصر على الكفّار.

وواقع الأمر، ليس بمقدور أحد التّأكد من ما إذا كان السياسيّين الأمريكيّين، الّذين يصنعون السّياسات الإمبرياليّة، أو الرّؤساء الّذين ينفّذون تلك السّياسات، من شريحة النّاس الّذين يؤمنون بهذه النّبوءات، أو ما إذا كان حديثهم في هذه الأمور يمثّل جانبًا من ضرورات الحشد خلف استراتيجيّات سياسيّة أو متطلّبات التّأييد لهذه السّياسات. في سنة 1980 أجرى الرَّئيس الأمريكيّ «ريغن» مقابلة تلفزيونيّة قال فيها: "قد نكون نحن الجيل الّذي سيشهد الهرمجدون".. أمّا الرَّئيس الأمريكيّ "جورج بوش الابن" فقد نقلت عنه مجلّة "دير شبيغل" الألمانيّة سنة 2008، أنّه منذ ذلك الوقت أصبح واحدًا من الثّمانين مليون أمريكيّ الّذين يؤمنون بالولادة الثّانية للمسيح[3].

إذن من خلال الحلف الّذي نشأ ما بين المحافظين الجدد من ناحيّة، والصّهيونيّة المسيحيّة من ناحيّة أخرى، فقد سيطر كلّ من المحافظين الجدد والصّهيونيّة المسيحيّة -فيما بعد- على كلّ

---

1 - الحسن، ي. (1990)، ص78.
2 - وميض، إ. (2017)، ص 163.
3 - م.ن. ص.ص.163-164.

مراكز اتّخاذ القرار في الولايــات المتّحدة الأمريكيّة، البيت الأبيض، والكونغرس، والرّأي العام الأمريكيّ، ومؤسّسات الإعلام المرئية والمقروءة.

وقـد عمل المحافظـون الجـدد، والصّهيونيّون المسـيحيّون الأصوليّون معًـا، في الإدارات الأمريكيَّـة المتعاقبـة منـذ إدارة "ريغن" ووصـولاً لإدارة "بوش" الابن، لدعـم وتأييد الموقف الصهيـوني من قضية الصّراع العربيّ - "الإسرائيلي"، ويكفي أن نعرف، أنّ الرَّئيس بوش الابن قد وظّف في طاقَمـه الدَّاخليّ، حوالي عشرين من خبراء المعهد الأمريكيّ[1]، وهؤلاء هم من أكبر الموالين للفكر الشّـتراوسيّ، الّذين احتلوا أهمّ المناصب بالخارجيَّـة الأمريكيَّة ووزارة الدِّفاع، وركّـزوا على أنّ "إسرائيل" هي الحليف الرَّئيس للولايات المتّحدة الأمريكيَّة، الّتي يجب دعمها ماليًّا وعسكريًّا، والدِّفاع عنها بكلّ قوّة؛ أمّا أعداء أمريكيا فهم، معظم الدّول العربيّة وبعض الدّول الإسلاميَّة. صرّح العديد من الكتّاب المشهورين، والمبشّرين التّلفزيونيّين مثل «هال ليندسي»، و«جيري فالويل»، و«بات روبرتسون»، و«جيمس دوبسون»، و«تيم لاهاي»، و«جيمس هاجي»، جنبًا إلى جنب مع السّياسيين الّذين يشاركونهم معتقداتهم، بتأييد السَّيطرة الإسرائيليّة على الضّفة الغربيّة وغزّة، كخطوةٍ نحو التّوسـع المتوقّع إلى الحـدود التّوراتية، وكلّ القدس وجبل الهيكل -وهو أمر ضروريّ- لإعادة بناء الهيكل. يرفض هؤلاء الصّهاينة المسيحيّون المطالبات السّياسيّة أو الإقليمية الفلسـطينيّة، ويعملون على تشويه سُمعة الشّعب الفلسطينيّ، بشكل مشابه للصّور النّمطيّة النّازيّة عن اليهود؛ وفي نظرتهم للعالم الّتي تغذّيها النّبوءات يشـوّهون الإسلام، إنّ مثل هذه الشّخصيّات، الّتي تعزّزها شبكة من المنظمات ذات التّفكير المماثل، تشكّل على الأرجح، أقوى لوبي في الولايات المتّحدة اليوم، ولا تؤثّر على السّياسة الخارجيَّة الأمريكيَّة فحسب، بل تؤثِر أيضًا على فرص التوصّل إلى حلّ سلميّ للصّراع الفلسطينيّ "الإسرائيليّ"[2].

سادساً: المؤسّسات الدّاعمة للصّهيونية المسيحيّة في أمريكا.

للأسباب سابقة الذّكر، لابدّ أن يُنظر إلى الصّهيونيّة المسيحيّة، على أنّها وُجدَت كشريك للّوبي الإسرائيليّ وليس كقوّةٍ دافعةٍ له، والّتي -وفقًا لأغلبيّة المفكّرين- تنبع من نواة المحافظين الجدد

1 - The American Enterprise Institute

2 - Samuel, G. (2018), p105.

اليهود. وقد تنطبق نفس الاعتبارات على القوّة الدّيموغرافيّة، الّتي تتمتّع بها الصّهيونيّة المسيحيّة في الولايات المتّحدة. ومن المثير للاهتمام أنّ المؤيّدين والمنتقدين على السّـواء، يبالغون في تضخيم عدد المسيحيّين المؤيّدين لإسرائيل إلى ما لا يقلّ عن 50 مليونًا. فيما تشير تقديرات أكثر دقّة وموثوقيّة، إلى أنّ النّسـبة الحالية من المسيحيّين الصهاينة، تتكوّن من 20 إلى 25 في المائة، أيْ من 85 إلى 90 مليون نسمة تقريبًا.

هناك مؤسّسات تُعنى بالصّهيونيّة المسيحيّة، من أهمّ هذه المؤسّسات:

1. **الجمعيـة الصّهيونيّة المسـيحيّة (The Christian Zionist Association):** تعمل هذه المؤسّسة على تعزيز التّفهم والدّعم للصّهيونية المسيحيّة، وتوفير منصّة للمسيحيين للتّعبير عن دعمهم لإسرائيل والشّعب اليهوديّ.
2. **التّحالـف الصّهيـونيّ المسـيحيّ (The Christian Zionist Alliance):** يهـدف هـذا التّحالف إلى تعزيز الوعي بأهميّة إسرائيل في الخطّة الإلهيّة، وتعزيز الدّعم للصّهيونيّة المسيحيَّة.
3. **المجلس الوطنيّ الصّهيونيّ المسيحيّ (The National Christian Zionist Council):** يعمل هذا المجلس على توحيد المسيحيين، الّذين يدعمون "إسرائيل"، ويؤمنون بأهميّة دورها في الخطّة الإلهية.

وفي هذا السّياق يمكن الإشارة إلى أنّ الجمعيّات والمؤسّسات اليهوديّة، متفاوتة فيما بينها بما يتعلّق بالقوّة التّأثيرية، لأسـباب متنوّعة، وقد تمّ تشجيعها من خلال إعفائها من نظام الضّرائب. منها على سـبيل المثال لا الحصر: -الاتّحاد الصّهيونيّ الأمريـكيّ -المؤتمر اليهوديّ العالميّ -المنظمـة الصّهيونيّة الأمريكيَّة، -منظّمة الهادسـاة -رابطة الصّهاينـة الإصلاحيّين في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة -مجلس الاتّحادات اليهوديّة وصناديق الرّفاه -مؤسّسـة جبل المعبد -عصبة الصّداقة "الإسرائيليّة" - الأمريكيَّة -مؤتمر رؤساء المنظّمات اليهوديّة الأمريكيَّة -اللّجنة اليهوديّة الأمريكيَّة -جمعيّة بناي بريت أو أبناء العهد -شهود يهوه -المسيحيّون المتّحدون من أجل إسرائيل -أصدقاء إسرائيل المسيحيّون -منظّمة السّفارة المسيحيّة الدّولية -منظّمة المائدة المستديرة الدّينيّة -منظمة جسـور السّـلام -الصّندوق المسـيحيّ الأمريكيّ لأجل إسرائيل -مؤتمـر المعمدانيّين الجنوبيّيـن -جمعيّة (الآيباك) لجنة الشّـؤون العامّة الأمريكيَّة الإسرائيليّة -المصرف المسـيحيّ الأمريكيّ لأجل إسرائيل.

كما يوجد العديد من مراكز الأبحاث ذات الصّلة بالمسيحيّة الصّهيونية، ومنها:
-المؤسّسة الأمريكيَّة لبحوث السّياسة العامّة -معهد هدسون -مركز الأخلاق والسّياسات العامّة -المعهد اليهوديّ لشؤون الأمن القوميّ -معهد منهاتن للبحوث السّياسيّة -مركز السّياسة الأمنيّة -مؤسّسة الدِّفاع عن الدّيمقراطيات -جمعيّة هنري جاكسون.

سابعاً: الصّهيونيّة المسيحيّة في أمريكا كدافع للحروب والقتل.

يقول الحاخام «لي ليفنجر»: «إنّ مؤسّسيّ أمريكا كانوا أكثر يهوديّة من اليهود أنفسهم، وهم على حسب ما يزعمون يهود الرّوح، الّذين عهِد الله إليهم كما عهد إلى يهود اللّحم والدّم، قبل أن يفسدوا ويتخلّوا عن أحلام المملكة الموعودة». ويضيف مخاطبًا المهاجرين الأوائل قائلاً: «إنّ يهوديتكم أيّها المهاجرون إلى العالم الجديد، هي الّتي أرست الثّوابت الخمسة الّتي رافقت التّاريخ الأمريكيّ في كلّ محطّاته».

عبرّ «جورج واشنطن» -أوّل رئيس للولايات الأمريكيَّة المتّحدة- أنّه موكل بمَهَمَّة عهدها الله إليه، ثمّ جاء «توماس جيفرسون» ليقول بشكلٍ واضح بأنّ الأمريكيّين هم شعب الله المختار؛ بينما يقول «جون آدمز» بأنّ استيطان أمريكا الشّماليّة تحقيق لمشيئة إلهيّة، بينما يقول «روزفلت» أنّ أمركة العالم هي مصير وقدر أمّتنا. لقد نشأت لدى الأمريكان ثقافةٌ جديدة أُطلق عليها ثقافة أهل الحدود، وهي الّتي تفتح الحدود في وجه الأمريكان، فقدر أمريكا الأبديّ هو الغزو والتّوسع، فهي كعصا موسى الّتي أصبحت أفعى، وابتلعت كلّ الحبال، وهذا هو قدرها المتجلّي. وبذلك قدّمت التّقاليد اليهوديّة الكتابيّة الّتي تأمر بالأعمال الفظيعة، وجرائم الحرب، المسوّغ الدِّينيّ لكلّ الحروب والفظائع والمجازر، الّتي قامت بها الولايات الأمريكيَّة المتّحدة منذ نشوئها. وبناء على هذا التّسويغ، يجب أن لا نُدْهَش حين يرحّب الأمريكيون بالمجازر، الّتي يرتكبها جيش الاحتلال على أرض فلسطين؛ يقول «وليم فوكسويل»:

«إنّ فيلسوف التّاريخ -وهو القاضي النّزيه- يرى أنّ من الضّروريّ زوال شعب متخلّف، ليخلي مكانه لشعبٍ آخر ذي ملكات متفوّقة، فقد يؤدّي الاختلاط بين العروق البشريّة إلى نتائج كارثيّة»[1]. وبذلك بدأ العمل السّياسيّ يتّجه صوب الإعلاء من شأن العرق الأمريكيّ، على كافة

1 - الطويل، ي. (2014)، ص89.

الأعراق مسلّحًا بالتّبرير الدِّينيّ.

كان أغلب الرّؤساء الأمريكان مناصرين للصّهيونيّة المسيحيَّة، ونتيجة لتشبّعهم بالأفكار الصّهيونيّة، والارتباط العقائدي، بين نشأة أمريكا بشعبها المختار مع اليهوديّة التَّاريخيّة، كان لابدّ أن تكون السّياسة الأمريكيَّة بمجملها، ذات توجّه عنفيّ وعدائيّ يشبه تاريخ اليهود الصّهاينة، فقد غزت القوّات الأمريكيَّة نيكاراغوا في 1833، وفي سنة 1835 دخلت قواتهم البيرو غازية؛ ثمّ غزت أرضًا مكسيكيّة في السّنة اللاّحقة، وهي الأرض الّتي أضحت بعد ذلك أحد أشهر ولاياتها، وعرفت باسم تكساس. ولأنّها لم تواجه أيّ رادع، توسّعت الأطماع الأمريكيَّة لتضُم أراضي مكسيكيّة أخرى، تعرف اليوم بكاليفورنيا ونيومكسيكو، وكان هذا بتاريخ 1848. وفي 1854 استهدف الأمريكان ميناء غراي تاون في نيكاراغوا وحطموه تحطيمًا، كردّ فعلٍ على رفض الحكومة النّيكاراغويّة دخول عميل أمريكي لأرضها. وجاءت سنة 1855 م لتسجّل غزو الأمريكان للأورغواي، ثم قناة بنما. ولم تختلف عنها سنة 1873 م حين سجّلت غزو كولومبيا؛ الّتي بقيت تعاني من تعدّيات الأمريكان باستمرار، تعديّات جرت في ذات الوقت الّذي تدخّل فيه الأمريكان في هايتي، وتشيلي، وكولومبيا، ونيكاراغوا، وكوبا، وهذه الأخيرة اقتلعت من ملكيتها خليج غوانتانامو في سنة 1898 بعد حصار بشع. واليوم تزيد التّاريخ بشاعة وقبحًا، حين تأسر فيه المئات من المسلمين، في أسوأ ظروف وحشيّة بربريّة عرفها التّاريخ. أمّا في سنة 1992 فقد توجّهت أنظار السّاسة الأمريكان باتجاه هندوراس، وتمكّنوا بعد العدوان من الاستيلاء على ستّ مدن من مدنها في 1907. واستمرّت هذه الغطرسة وهذا العدوان ليصل مداه في 1914، حين سرقت القوّات الأمريكيَّة البنك المركزيّ لهايّتي بحجّة استرداد ديون الأمريكان، وانتهت في 1915 باحتلال كلّ هايتي حتّى عام 1934.

وفي عام 1916 تدخّلت أمريكا في الدّومينكان؛ لصدّ الثّورة الّتي قامت ضدّ السّلطة الفاسدة، وأجهضت مساعي الثّوار، وفرضت عليهم حكومة عسكريّة عميلة لها، واستمرّت بعد ذلك التّدخُّلات الأمريكيَّة في السّلفادور، وإيران، وغواتيمالا، وشيلي، وكامبوديا، فخلعت حكومات، وأقامت أخرى بما يوائم غطرستها. وفي 1950 م خاضت أمريكا الحرب الكوريّة. وهي أحد أكثر الحروب الّتي تكبّدت فيها أمريكا خسائر كبيرة ماديًّا وبشريًّا، حيث بلغت تكلفتها نحو 341 مليار

دولار، وتكلفتها البشريّة أكثر من 34 ألف جنديّ أمريكيّ قتيل. وفي 1962 حاصرت أمريكا كوبا بحريًّا وجويًّا.

ولم تكن لتتوانى عن خوض الحرب العالميّة الأولى، الّتي اندلعت عام 1914، والّتي بلغت تكلفتها في الخزانة الأمريكيَّة نحو 334 مليار دولار، أو الحرب العالميّة الثَّانية عام 1941 الّتي كلّفت الخزينة الأمريكيَّة ما يزيد عن أربعة تريليونات دولار، وقتل في صفوفها 400 ألف جنديّ أمريكيّ. وكلا الحربين كبّدت البشر الملايين من القتلى والدّمار والفساد في الأرض، وفي اليوم السّادس من آب عام 1945 عرفت مدينة هيروشيما اليابانيّة نهاية مأساويّة، حيث ألقى الأمريكان على رؤوس سكانها قنبلةً نوويّةً مخصبةً باليورانيوم، أطلق عليها استخفافًا اسم «الطّفل الصغير»، بلغت قوّتها التّدميريّة 12500 طنّ من مادة (تي أن تي) شديدة الانفجار. فكانت النّتيجة أن قتل أكثر من سبعين ألف إنسانًا فورًا، في حين تشير آخر إحصائيّة رسميّة لكارثة هيروشيما أن عدد القتلى تجاوز 242 ألف إنسان. ثمّ بعد ثلاثة أيام فقط من تدمير هيروشيما، كرّرت أمريكا نفس العمل في مدينة ناجازاكي اليابانيّة الأخرى، وهذه المرّة بقنبلة نوويّة أخرى بلغت قوّتها التّدميريّة 22 ألف طنّ من مادة (تي أن تي) قتلت بدم بارد ما يزيد على 70 ألف إنسان. ناهيك عن الآثار المرضيّة الّتي استمرّت بسبب الإشعاعات النوويَّة، والإعاقات والتّشوّهات الّتي ضربت الأجنّة في أرحام أمّهاتها. وتلوّثت البيئة والهواء وكلّ ما يتّصل بالحياة في تلك الأرض الّتي داستها الغطرسة الأمريكيَّة يومًا، والأكثر فظاعة هو احتفال الأمريكان بهذا الإنجاز، واعتباره دليل قوّة وعلوّ في الأرض، بل ويبرّرونه بـ"ضرورة لأجل حياة أمريكا". ولصدّ التّأثّر بالشّيوعية في الهند الصّينيّة، خاضت أمريكا حرب فيتنام سنة 1955، حيث أقدم الجيش الأمريكيّ على أبشع الجرائم ضدّ الإنسانيّة، ورغم حجم الدّمار والوحشيّة والعدوان، خسرت أمريكا الحرب عام 1975 م، وسجّل التّاريخ أحد أسود صفحاتها. لقد سفك الأمريكان دم مليوني فيتنامي، وجرحوا ثلاثة ملايين، وتشرّد أكثر من 12 مليون لاجئ. وفي المقابل خسر الأمريكان 58 ألف قتيل، وأكثر من 15 ألف جريح، ومئات الأسرى الّذين تمّ إطلاق سراحهم لاحقًا. وبلغت تكلفتها نحو 738 مليار دولار. لقد كانت حرب فيتنام أحد أهمّ الحروب الّتي خاضتها أمريكا وأكثرها خسائر، ودليلاً آخرَ على بربريّة الأمريكان[1].

1 - حمدان، ل. (2023).

وفي الشّـأن العربيّ الإسلاميّ، يقول أحد السّاسـة الأمريكان: "قيادة حرب عادلة هي عمل مسـيحي يقوم على الإيثار، فـالأشرار يجب أن يُعاقبـوا، والأخيار يجب أن يُكافـؤوا، لقد جاء وقت العنف". كـما أنّ التّيارات الأصوليّة المتطرّفة بدأت تنادي-بصورة متزايدة- بوجوب شـنّ حرب صليبيّة ضدّ الإسـلام. وأصرّوا على التّأكيد أنّ الحرب ضـدّ العراق هي جزء من "الحرب ضـدّ الشّرّ"[1]. ولم تكن الحرب على الإرهاب على حدّ زعمهم حربًا واحدة، فقد كانت الحرب على لبنان بالانـزال الأمريكيّ لدعم الحكومة المؤيّدة للكيان، والّذي قوبل بمقاومة عنيفة أدّت لخروجهم في نهاية المطاف؛ ثمّ الحرب على أفغانسـتان عام 2001 والّتي ذهب ضحيّتها مئات آلاف القتلى، فالحرب على العراق في 2003 الّتي فتكت بملايين الأشخاص بالإضافة إلى التّلوث، الّذي لازال يفتك بأرواح العراقيّين. ثمّ جاءت التّدخُّلات بالقوّة النّاعمة بعد دعم الثّورات العربيّة في العقد الأخير، فأجّجت الصّراعات بين الشّـعوب وحكّامهـا، لتُزهق الأرواح تحقيقًا لمآرب الولايات الأمريكيَّة المتّحدة. والآن تكتب أمريكا أمام أعيننا فصلاًجديدًا من العنف في فلسطين، حيث يُباد شعب بأكمله، وتغطّي على أبشع المجازر الإنسانية في القرن الواحد والعشرين بحق الشعب الفلسطيني، وهنا تظهر بجلاء العقيدة الصّهيونيّة المسيحيّة، حيث تزكيّ نبوءة خراب غزّة التّوراتيّة هذه الحرب، وتبرّرها بطريقة تتجاوز أيّ حسٍّ إنسـانيّ. ولا زالت التّدخُّلات الأمريكيَّة لاتفوّت فرصة للهيمنة والسَّيطرة إلى يومنا هذا.

لقد كان الدّافع الدِّينيّ من أهم العوامل، الّتي أسـهمت في زهق الأرواح البشريّة في أمريكا، من لحظة اكتشافها على يد «كريستوفر كولومبس»، وتمثّله لفكرة الأرض الموعودة، حيث مارس هيمنته وإباداته الجماعيّة للهنود الحمر السّكان الأصليّين للمنطقة بزعمٍ نبويّ مأخوذٍ مستند على تأويلات للكتاب المقدّس، وأيضًا بعد هجرة الأوروبيّين محمّلين بأفكار الصّهيونيّة المسيحيَّة، وجد الشّعب الجديد في أسطورة تلك المقولات مايبرّر جرائمهم الأخلاقيَّة، فكانت تربتهم خصبة لتنبت فيها الأفكار الصّهيونيّة لاحقًا، وليتمّ تبرير الاحتلال المباشر للأرض الفلسطينيّة، من قبل اليهود بوصفه عوناً لله على تحقيق وعده، وليكون الدّافع الدِّينيّ المسـيحيّ اليهوديّ، المسوّغ الأهمّ لعمليات الإبادة، الّتي تمّت ولا نزال نشـهدها اليوم في غـزّة، بوصفها تحقيقياً للنّبوءات القديمة. فربّما يعتمل في صدر الملايين الآن، إحساس اقتراب ظهور المسيح عند اليهود، وعودة

1 - السقا، أ. (2002)، ص43.

المسيح عند المسيحيّين، خاصّة أنّ هذه العودة مرتبطة بخراب غزّة وحرب «هرمجدون»، حرب آخر الزّمان. هذا المسوّغ الدِّينيّ يعفي الغرب من الشّعور بالعار ومن الإدانة الأخلاقيَّة الذّاتية إزاء الإبادة، الّتي التي تُزهق الأرواح بلا حصر ولا عدد.

خاتمة

رصد هذا البحث عمليّة تسويغ الصّهيونيّة المسيحيّة كمبرر للقتل والإبادات الجماعية، وسلّط الضّوء على هذه الظّاهرة الصّهيونيّة المسيحيَّة، كمثال فاقعٍ على استغلال الدِّين شرّ استغلال، نشهد اليوم آثاره المباشرة على أرض فلسطين المحتلّةً، حيث نتلمّس لحظة تمازج في المجال الديني بين المسيحيّة الصّهيونيّة واليهوديّة الصّهيونيّة، لتبرير أكبر مجزرة وإبادة لشعب في العالم المعاصر. لقد رصد البحث بدايات نشوء الصّهيونيّة المسيحيّة، منذ حركة الإصلاح الدِّينيّ في أوروبا ومن ثم انتقالها إلى الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، واقترانها بتيّار المحافظين الجدد، والعديد من المنظّمات، الّذين شكلوا سوية، جبهة شديدة التّأثير على سياسات أمريكا، في دعمها لليهود، ومشروع احتلالهم الاستيطانيّ لفلسطين المحتلّة؛ كما تمّ ذكر الأثر الّذي نتج عن التّماهي بالرّوح الصّهيونيّة، حيث رافقت الحروب أمريكا منذ نشأتها إلى الآن، بطريقة وحشيّة أدّت إلى قتل ملايين الأرواح البشريّة.

المصادر والمراجع:

العربية:

1. الحســن، ي. (1990) البعد الدِّيني في السّياسة الأمريكيَّة تجاه الصّراع العربيّ الإسرائيليّ دراسة في الحركة المسيحيّة الأصوليّة الأمريكيَّة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط 1، بيروت.

2. ســباتين، إ. (2000) المســيحيّة البروتســتانتيّة وعلاقتها بالصّهيونيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، دار زهران للنّشر، ط1، الأردن.

3. السّــقا، أ. (2002) عودة المسيح المنتظر لحرب العراق بين النّبوءة والسّياسة، دار الكتاب العربيّ، ط3، دمشق.

4. السّماك، م. (1993) الصّهيونيّة المسيحيَّة، دار النّفائس، ط2، بيروت.

5. السّــماك، م. (1991) الأصوليّة الإنجيليّة أو الصهيونيّة المسيحيّة والموقف الأمريكيّ، دار النّفائس، ط1، بيروت.

6. الطّويــل، ي. (2014) البعــد الدِّينيّ لعلاقــة أمريكا باليهود وإسرائيــل وأثره على القضية الفلسطينيّة خلال الفترة (1948-2009)، مكتبة حسن العصريّة، ط1، بيروت.

7. كوربت، ج. (2002) ، الدِّين والسّياســة في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، ج2، ت: عصام فايز وناهد وصفي، مكتبة الشّروق الدّولية، ط2، القاهرة.

8. لامــبرت، ف. (2014) الدِّين في السّياســة الأمريكيَّة، ت: عبد اللّطيف موسى أبو البصل، نمو للنّشر، ط1، الرّيّاض.

9. لوثر، م. (2007) اليهود وأكاذيبهم، ت: محمود النّحجيريّ، مكتبة النّافذة، ط1، مصر.

10. وميض، إ. (2017) قراءة جديدة للتّاريخ، مركز الكتاب الأكاديميّ، ط1، عمان.

الإنكليزية:

1 - Geyer, A. (1997) Ideology in America: Challenges to Faith, West Miuister John Knox Press.

2 - Lewis. D (2021). A Short History of Christian Zionism, Inter Varsity Press.

3 - Luther, M. (1523)That Jesus Christ was Born a Jew.

4 - Luther, M. (1971) On the Jews and Their Lies, Martin H. Bertram, translator, Luther's Works, Philadelphia: Fortress Press.

5 - Samuel, G. (2018) God's Country: Christian Zionism in America, University of Pennsylvania Press Philadelphia.

6 - Spector, S. (2009) Evangelicals and Israel, The Story of American Christian Zionism, Oxford University.

الانترنت:

- حمدان، ل. (2023) الحروب الّتي خاضتها أمريكا.

https://tipyan.com/wars-fought-by-america/

.